٧ إعلاميون بلا ضمير .. وشعب بلا وعي

من أهم العبارات التي رددها جوزيف جويلز وزير إعلام هتلر: كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسي .. أكذب حتى يصدق الناس ... أعطني إعلاميين بلا ضمير أعطيك شعبًا بلا وعي .. عبارات عايشتها السياسات الإعلامية العربية سنوات طويلة من الفساد، بات الإعلام فيها آلية لتغييب الوعي وإحكام القبضة على المشهد السياسي .. آلية مكيافيلية برع الحكام العرب في استخدامها لاستعباد شعوبهم وخنوعهم عن رضا تام واستكانة غير معقولة .. آلية تضمن تخليدًا مُوَرَّثًا للحكام وموتًا بطيئًا مقنعًا للشعوب .. حيث ظل الإعلام في مصر لثلاثين عامًا بوقًا للنظام يعبر عن إرادته.. يشوه الحائق في عقول العامة ويلفق الجرائم للمعارضين .. وخلط الناس بين الإعلاميين والمثقفين، حيث صار الإعلام مهنة يمارسها بعض المثقفين.. ففي أقل من خمس سنوات مضت اعتلى المثقفون منابر الإعلام واتخذوه مهنة لهم عن غير واعي ودون التزام بمواثيقه الأخلاقية،، حتى وصلنا إلى مرحلة لا نفرق فيها بين المبدع والفنان والصحفي والإعلامي والسياسي ورجل الاجتماع فكلهم أصحاب برامج إعلامية متلفزة.. فهجر الكتاب أقلامهم واتجهوا للإعلام وراح ورائهم أنصاف المرهبين من الفنانين والمبدعين ليتاجر معظمهم بقضايا الشعب وهموم المواطن .. فإذا كان الإعلام عامة منوطًا بمبدأ التنوير والتثقيف والتبصير فمن واجبه الكشف دون استتار للحقيقة والبيان دون تعبيرات زائدة بعيدة

عن الواقع فإذا غلبت إحداهما على الأخرى سقطت الوسيلة وضاع الهدف.

ويشكل الإعلام المصري جزءًا أساسيًّا من النسيج الثقافي للمجتمع برمته، إذ أنه يتفاعل ويؤثر في الوجدان والمفاهيم والقيم، ويستنفد بما يقدمه على مدار الساعة من برامج ومواد إعلامية – درامية كانت أو إخبارية – مساحةً كبيرة من وقت وانشغال الجمهور الواسع فأي متابع لما يبث عبر شاشات الإعلام المصري يدرك ودون جهد كبير مدى الفجوة الواسعة بين ما تقدمه القنوات الفضائية المصرية من برامج إعلامية ضعيفة، وبين الطموح المصري الساعي بعد الثورة نحو تحقيق التنمية وبناء أجيال من الشباب الواعي المثقف، والملم بالمعارف والعلوم الحديثة، جيلًا معتز بثورته وقيمه الأصيلة، ومدرك لحقائق الأمور ومتمكن من التمييز والتقييم لما هو وطني وما هو موجه ومفتعل.

فالإعلام المصري في الأشهر الأخيرة أصبح لا يقدم سوى موادًا إعلامية هزيلة استهدفت في مضمونها تشويه صورة مصر إقليميًّا ومحليًّا؛ وتقويض المكتسبات الاجتماعية للثورة .. وتكريس الفوضى وتأجيج الفتن .. بدعوى تقديم الحقائق وكشف المستور تحت شعار حرية الإعلام وحق المواطن في معرفة الحقائق، وذلك من خلال برامج اتسمت إلى حدٍ بعيد بالسطحية وجذب المشاهد بعيدًا عن واقعه ومشكلاته ومصالحه، وأحيانًا المتاجرة بمشاكل المواطنين من خلال النفخ في صغائر الأمور لتحويلها إلى معضلات اجتماعية وسياسية عويصة؛ تؤدي في نهاية الأمر إلى تشويه صورة مصر وتزايد أعداد الاحتجاجات والتظاهرات والإضرابات والاعتصامات وكذلك أعداد الحانقين على سياسة المجلس العسكري في إدارة شئون البلاد .. واتفقت كافة البرامج على آلية واحدة وهي الشعب يريد .. وإن كنت أرى أن معظم مطالبهم لم تعبر عن إرادة الشعب بل زوروها وسطوا عليها .. فالشعب لا يريد سوى الاستقرار والأمن والحياة

الكريمة .. تلك الأهداف التي لا تتحقق سوى بالعمل والإنتاج والتواجد الحقيقي لرجل الأمن في إطار شامل من هيبة الدولة المصرية داخليًّا وخارجيًّا.

وقد نجح الإعلام في إحداث حالة من التغييب العقلي للمواطن المصري عن واقعه المعاش؛ إذ أنه فشل لأكثر من تسع شهور في دعم العوامل الثقافية البناءة اللازمة للتنمية، أو لبناء الوعي السياسي المفترض تحقيقه لدى الأفراد في أي مجتمع يسعى للنهضة ويتطلع لمستقبل أفضل بعد سنوات عجاف عاش فيها المواطن المصري غريبًا في وطنه – روح حي في جسد ميت – فبدلًا من أن يؤدي الإعلام دورًا إيجابيًّا بعد الثورة في بناء الوعي للشخصية المصرية وتكريس صورة مصر الإيجابية إقليميًّا وعالميًّا؛ بات إعلامًا هدامًا ساهم إلى حد بعيد في تشويه صورة الثورة في عقول العامة التي ضاقت معيشتهم في ظل مستقبل مجهول تحكمه الصراعات الفكرية والفئوية والطائفية من أجل السلطة والوصول للحكم، وأصبح إعلامًا أسميه بإعلام حرق الثورة، ولعل التغطيات الإعلامية لأحداث ماسبيرو خير شاهد على هذا النوع من الإعلام، الذي تسبب في سقوط أكثر من ٢٧ شهيد مسلم وقبطي، فبدلًا من أن يقوم الإعلام بأداء دورًا إيجابيًّا في بناء الوعي لرجل الشارع وغرس القيم الوطنية فيه – التي نحن في أمس الحاجة إليها – مارس ألوانًا مباشرة من تخدير وتغييب لعقول الشباب، عبر برامج خفيفة ومتكررة تستهدف توجيه المشاهد في اتجاه واحد وهو الشك والقلق اللذان لا يجلبا للشارع المصري سوى الفوضى والتخريب، فهذا التخلي من القنوات الفضائية عن الدور الإعلامي الذي ينبغي أن تقدمه هو في جوهره هدم لما تحاول الثورة أن تبنيه، والواقع أن أهداف الثورة والحفاظ على مكتسباتها لا يمكن أن يتحقق دون مساعدة إيجابية وفعالة من المؤسسة الإعلامية في إذكاء الوعي الشعبي الطامح لبناء مصر.

□ □ □ □